بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل الهدى والكتاب، وارسل رسوله ليبلغ الناس مانزل لهم ابتداء، وبالسؤال والجواب، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب.

أمّا بعد :

فهذا بحث موجز، في تقرير بلاغة النبي ﷺ وفصاحته، مهدت له بتمهيد بينت فيه تعريف البلاغة، وحكم تعلمها.

سائلاً الله أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم، وداعياً إلى سنة نبيه الرؤوف الرحيم.

تمهيد
تعريف البلاغة وحكم تعملها

لّما كان البحث في البلاغة ونسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد مهّدت له ببيان هذه الأمور وهي: البلاغة، وحكم تعلمها، فأقول مستعيناً بالله:

تعريف البلاغة؛ فقد اختلف فيه[١]:

فقيل : أن يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه.

وقيل : إيصال المعنى إلى الغير بأحسن لفظ.

وقيل : الإيجاز مع الإفهام والتصرف من غير إضمار.

وقيل : قليل لا يبهم وكثير لا يسأم.

وقيل : إجمال اللفظ واتساع المعنى.

وقيل : تقليل اللفظ وتكثير المعنى.

وقيل : حسن الإيجاز مع إصابة المعنى.

وقيل : سهولة اللفظ مع البديهة.

وقيل : لمحة دالة أو كلمة تكشف عن البغية.

وقيل : الإيجاز من غير عجز والإطناب من غير خطأ.

وقيل : النطق في موضعه والسكوت في موضعه.

وقيل : معرفة الفصل والوصل.

وقيل : الكلام الدال أوله على آخره وعكسه.

---

(١) انظر هذه التعاريف في البيان والتبين (٨٨/١)، الصناعتين لأبي هلال العسكري ص١٥ــ٦٥، العمدة لابن رشيق (٢٤١/١)، الفقيه والمتفقه (٣٤/٢)، فتح الباري (١٧٧/١٣).

وقيل : "البلاغة مجموعة في قسمين:

أحدهما : أن يكون اللفظ قليلاً، وهو دال على معان وهو أعلى القسمين.

الثاني : أن يكون الكلام منطبقاً على المعنى لا يفضل عنه"(١).

وهذا كله عن المتقدمين(٢). وعرف أهل المعاني والبيان البلاغة : بأنها "مطابقة الكلام لمقتضى الحال والفصاحة"، وهي خلوه عن التعقيد.

وقالوا: المراد بالمطابقة : ما يحتاج إليه المتكلم بحسب تفاوت المقامات، كالتأكيد وحذفه، والحذف وعدمه، أو الإيجاز والإسهاب ونحو ذلك، والله أعلم(٣).

أمّا عن حكمها :

فقد جاء عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ سَمِعَ خُصُومَةً بِبَابِ حُجْرَتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنْ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ لِيَتْرُكْهَا"(٤).

قال ابن حجر رحمه الله: "فيه : إن التعمق في البلاغة بحيث يحصل اقتدار صاحبها على تزيين الباطل في صورة الحق وعكسه مذموم.

فإن المراد بقوله " أبلغ " أي أكثر بلاغة، ولو كان ذلك في التوصل إلى الحق لم يذم وإنما يذم من ذلك ما يتوصل به إلى الباطل في صورة الحق.

فالبلاغة إذن لا تذم لذاتها وإنما تذم بحسب التعلق الذي يمدح بسببه وهي في حد ذاتها ممدوحة، وهذا كما يذم صاحبها إذا طرأ عليه بسببها الإعجاب، وتحقير غيره ممن لم يصل

---

(١) معالم الكتابة ومغانم الإصابة ص٨٩ــ٩١.

(٢) فتح الباري (١٣/١٧٧).

(٣) انظر الإيضاح ص٧٢، وشروح التلخيص (١/٧٠).

(٤) حديث صحيح.

أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب من قضي له بحق أخيه فلا يأخذه، حديث رقم (٧١٨١)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، حديث رقم (١٧١٣).

إلى درجته ولا سيما إن كان الغير من أهل الصلاح فإن البلاغة إنما تذم من هذه الحيثية بحسب ما ينشأ عنها من الأمور الخارجية عنها، ولا فرق في ذلك بين البلاغة وغيرها بل كل فتنة توصل إلى المطلوب محمودة في حد ذاتها وقد تذم أو تمدح بحسب متعلقها"اهـ[١].

بل لّما ذكر الخطيب (ت٤٦٣هـ) رحمه الله، ما يتعلق بآداب الجدل، وعقد باباً في السؤال والجواب، قال: "ينبغي أن يوجز السائل في سؤاله ويحدد كلامه ويقلل الفاظه ويجمع معاني مسلمة فإن ذلك يدل على حسن معرفته...ويلزم المجيب أن يسد بالجواب موضع السؤال و لايتعدى مكانه ويجعل المثل كالممثل به، ويختصر في غير تقصير، وإن احتاج إلى البيان بالشرح أطال من غير هذر و لا تكدير، ويقابل باللفظ المعنى حتى يكون غير ناقص عن تمامه و لا فاصل عن جملته. ثم ساق بسنده عن مجاهد، قال: كانوا يكتفون من الكلام باليسير"[٢].

فأنت ترى ما للبلاغة من خطورة في باب المحاورة، وخاصة في باب الجواب.

كما أن [عرض الدعوة والقضايا الإيمانية وتوضيح التشريعات الربانية والقوانين الإلهية: هذه التكاليف المتعددة مهمة شاقة، تتطلب بياناً، وعرضاً بيناً؛ لهذا لابد أن يكون الداعية في غاية البيان، ومثلاً عالياً في الفصاحة.

فالبيان هو الوسيلة الناجحة للإقناع، وإلزام المدعوين الحجة][٣]، وحملهم على المحجة، فيصدقوا الرسول بما جاء به، ويخجلوا من تلجلجهم في الباطل، فقد قامت عليهم الحجة ووضح الحق لكل ذي عينين.

لا جرم كان للبلاغة ذلك المحل!

وقد كان لنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة، فلننتهج سَنَنَه ونتبع هديه بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، فقد أوتي فصاحة الألفاظ، وبلاغة مطابقة الحال، بما أذعنت له رؤوس أهل اللغة والبيان، فما كان يخرج من فمه إلا الحق والهدى، [فاق بفصاحته جميع

---

(١) فتح الباري (١٣/١٧٧).
(٢) الفقيه والمتفقه (٢/٣٣ــ٣٤) باختصار.
(٣) بلاغة الحديث الشريف ص١٤.

العرب، وأتى بنظام غير نظام الشعراء والمترسلين وذوي الخطب.

وما عسى أن يقال فيمن أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم][1].

وهذه الصفحات القادمة تكشف لك عن نور بلاغته ﷺ وبيان فصاحته ﷺ، لما يراه الباحث من عظيم خطر فهم ذلك ومعرفته وتعلّقه بما يحتاج إليه المتفقه لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام، في عبارته وبلاغه عن الشارع، وفي حواره ومناظرته عن الشرع.

(١) الآيات البينات لابن دحية ص٢٥٨، ٢٦٦.

بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفصاحته.

بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم وفصاحته، من الأمور المسلّمة التي لا يختلف فيها اثنان! والمتفقه في الحديث الشريف يحتاج من ضمن ما يحتاج إليه، أن يتذكر دائماً هذا الأصل، فلا يخوض في مجال البحث عن المراد دون تنبه إلى ذلك. فيتأدب في شرحه وبيانه لكلام الرسول ﷺ بذلك؛ فإذا ذكر فقه الحديث ومعانيه، نبّه إلى ما تضمنه من ضروب الفصاحة، والبيان، وبلاغة القول واللسان، مما يعزز ما استنبطه من معنى، ويطري ما جاء به من تقرير.

ومن مهمّات المتفقه مراعاة أنه ﷺ أوتي جوامع الكلم.

عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ** وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي"

قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ[1]: "وَبَلَغَنِي أَنَّ جَوَامِعَ الْكَلِمِ أَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ وَالْأَمْرَيْنِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ"[2].

قال ابن رجب (ت٧٩٥هـ) رحمه الله: "إن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بجوامع الكلم، وخصّه ببدائع الحكم، كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "بعثت بجوامع الكلم" قال الزهري: جوامع الكلم فيما بلغنا : أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله، في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك.

وفي صحيح مسلم عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: ادْعُوَا النَّاسَ وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَيَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا.

---

(١) كذا وقع في رواية أبي ذر لصحيح البخاري، وفي رواية كريمة: "قال محمد". وهو الصواب، لأن هذا قول محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أحد رواة الحديث، وقد ثبت عنه هذا القول في تفسير جوامع الكلم. انظر فتح الباري (٤٠١/١٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد، حديث رقم (٧٠١٣)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، في أوّله، حديث رقم (٥٢٣).

قَالَ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتِنَا فِي شَرَابَيْنِ كُنَّا نَصْنَعُهُمَا بِالْيَمَنِ الْبِتْعُ وَهُوَ مِنْ الْعَسَلِ يُنْبَذُ حَتَّى يَشْتَدَّ وَالْمِزْرُ وَهُوَ مِنْ الذُّرَةِ وَالشَّعِيرِ يُنْبَذُ حَتَّى يَشْتَدَّ؟

قَالَ: **وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ بِخَوَاتِمِهِ** فَقَالَ: أَنْهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ أَسْكَرَ عَنْ الصَّلَاةِ"[(١)]. ...

فجوامع الكلم التي خص بها النبي ﷺ نوعان:

أحدهما : ما في القرآن كقوله عزوجل: ﴿**إِنَ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ**﴾ [النحل:٩٠]. قال الحسن: لم تترك هذه الآية خيراً إلا أمرت به، ولا شراً إلا نهت عنه.

والثاني : ما هو في كلامه ﷺ، وهو منتشر موجود في السنن المأثورة عنه ﷺ."اهـ[(٢)].

قال الخطابي (ت٣٨٨هـ) عليه رحمة الله: "إن الله جلّ وعزّ، لّما وضع رسوله موضع البلاغ من وحيه، ونصبه منصب البيان لدينه؛ اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها؛ ليباشر في لباسه مشاهد التبليغ، وينبذ القول بأوكد البيان والتعريف[(٣)] . ثم أمدّه بجوامع الكلم التي جعلها ردءاً لنبوته، وعلماً لرسالته، لينتظم في القليل منها الكثير، فيسهل على السامعين حفظه ولا يؤودهم حمله.

ومن تتبع الجوامع من كلامه لم يعدم بيانها، وقد وصفت منها ضروباً، وكتبت لك من أمثلتها حروفاً، تدل على ما وراءها من نظائرها، وإخوانها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب كل مسكر خمر، وكل خمر حرام، حديث رقم (١٧٣٣).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٥٣-٥٦) باختصار وتصرف يسير.

(٣) وفي تقرير هذا المعنى يقول الطبري رحمه الله في تفسيره (بولاق) (١/٥-٦): "والله جلّ ذكره يتعالى عن أن يخاطب خطاباً أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب، أو أرسلت إليه؛ لأن ذلك فينا من فعل أهل النقص والعبث، والله تعالى عن ذلك متعال؛ ولذلك قال جلّ ثناؤه في محكم تنزيله: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} [إبراهيم:٤]، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} [النحل:٦٤]؛ فغير جائز أن يكون به مهتدياً من كان بما يهدي إليه جاهلاً. فقد تبين إذا بما عليه دللنا من الدلالة: أن كل رسول لله جلّ ثناؤه أرسله إلى قوم فإنما أرسله بلسان من أرسله إليه، وكل كتاب أنزله على نبي، ورسالة أرسلها إلى أمة فإنما أنزله بلسان من أنزله أو أرسله إليه. واتضح بما قلنا ووصفنا أن كتاب الله الذي أنزله إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بلسان محمد صلى الله عليه وسلم. وإذا كان لسان محمد صلى الله عليه وسلم عربياً فبيّن أن القرآن عربي؛ وبذلك أيضاً نطق محكم تنزيل ربنا فقال جلّ ذكره: {إنا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون} [يوسف:٢]، وقال: {وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين} [الشعراء:١٩١ــ١٩٥]."اهـ

فمنها في القضايا والأحكام، قوله: "المؤمنون تكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم"[١].

وقوله: "المنيحة مردودة، والعارية مردودة، والعارية مؤداة، والدين مقضي والزعيم غارم"[٢].

فهذان الحديثان على خفة الفاظهما يتضمنان عامة أحكام الأنفس والأموال.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "سلوا الله اليقين والعافية"[٣].

فتأمّل هذه الوصية الجامعة تجدها محيطة بخير الدنيا والآخرة؛ وذلك أن ملاك أمر الآخرة اليقين، وملاك لأمر الدنيا العافية، فكل طاعة لا يقين معها هدر، وكل نعمة لم تصحبها العافية كدر. فجمع هذا الكلام على وجازته وقلة حروفه أحد شطريه محيطاً بجوامع أمر الدين، وشطره الآخر متضمناً عامة مصالح الدنيا.

ضرب آخر:

ومن فصاحته وحسن بيانه؛ أنه قد تكلم بألفاظ اقتضبها، لم تسمع من العرب قبله، و لم

---

(١) حديث صحيح. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث الصحيفة.
أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب كتابة العلم، وفي الجهاد باب فكاك الأسير، وفي الديات باب العاقلة، وباب لا يقتل مسلم بكافر، وأخرجه مسلم في الحج باب فضل المدينة، وفي العتق باب تحريم تولي العتيق غير مواليه، حديث رقم (١٣٧٠). وانظر جامع الأصول (٢٨/٨).

(٢) حديث حسن. عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.
أخرجه الترمذي في كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث، حديث رقم (٢١٢١)، وأبوداود في كتاب البيوع، باب في تضمن العارية، حديث رقم (٣٥٦٥). ولفظه: "العارية مؤداة والمنحة مردودة، والدين مقضي، والزعيم غارم"
والحديث حسنه الترمذي، ووافقه محقق جامع الأصول (٧٥١/١١).

(٣) حديث حسن عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
أخرجه أحمد (٣/١)، بلفظ: "سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة"، وفي (٨/١)، بلفظ: "يا أيها الناس إن الناس لم يعطوا في الدنيا خيراً من اليقين والمعافاة فسلوهما الله عزوجل". وبنحوه أحمد في المسند أيضاً (١/١١،٧،٥،٣)، والبخاري في الأدب المفرد باب من سأل الله العافية، تحت رقم (٧٢٤)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب رقم ١١٨، حديث رقم (٣٥٥٣)، وابن ماجة في كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، حديث رقم (٣٨٤٩)، وابن حبان (الإحسان ٣/٢٣٢،٢٣٠)، حديث رقم (٩٥٢،٩٥٠).
والحديث حسنه الترمذي وصححه ابن حبان، وابن حجر في الامتاع بالأربعين المتباينة السماع ص٢٦، بنحوه، وأحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٥٧/١)، حديث رقم (٦)، وقوّى اسناده محقق الإحسان، وقال الألباني: "حسن صحيح" مختصر سنن الترمذي (١٨٠/٣)، وصححه في صحيح الأدب المفرد ص٢٦٨، وصحح إسناد الترمذي محقق جامع الأصول (٣٣٩/٤).
ثم رأيت الحديث بلفظه في مسند أبي بكر للمروزي تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ، طبع المكتب الإسلامي، ص١٣٨، وحكم المحقق على سنده بالانقطاع، قلت: لكن يتقوى بما أوردته سابقاً فيرتقي بهذا اللفظ من هذا الطريق إلى الحسن لغيره، فالحمد لله على توفيقه، وأسأله المزيد من فضله.

توجد في متقدّم كلامها:

كقوله: "مات حتف نفسه"[١].

وقوله: "حمي الوطيس"[٢].

وقوله في المسلم والكافر: "لا تراءى ناراهما"[٣].

في ألفاظ ذات عدد من هذا الباب تجري مجرى الأمثال[٤]. وقد يدخل في هذا النوع احداثه الأسماء الشرعية، ولذكرها موضع غير هذا[٥] .

ضرب آخر:

ومن فصاحته وسعة بيانه: أنه قد يوجد في كلامه الغريب الوحشي الذي يعيا به قومه وأصحابه، وعامتهم عرب صرحاء، لسانهم لسانه، ودارهم داره.

---

(١) حسن لغيره. جزء من حديث عن عبدالله بن عتيك رضي الله عنه.
أخرجه أحمد (٣٦/٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٣/٥ــ٢٩٤)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٥٩/٤)، حديث رقم (٢١٤٣)، وفي الجهاد له (٥٧٦/٢)، حديث رقم (٢٣٦)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢٦١/١)، والطبراني في الكبير (١٩١/٢)، حديث رقم (١٧٧٨)، والحاكم في المستدرك (٨٨/٢)، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبير (١٦٦/٩).
والحديث قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٧/٥) عنه: "رواه أحمد والطبراني وفيه محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن"اهـ، قلت: أفاد الشيخ مساعد الراشد (سلمه الله) محقق كتاب الجهاد لابن أبي عاصم (٥٧٧/٢ــ٥٧٨)، أن ابن إسحاق صرّح بالتحديث عند أبي نعيم في معرفة الصحابة (٢:ق٢٤:ب)، فزالت شبهت تدليسه، كما أفاد بجهالة ابن عبدالله بن عتيك، راوي الحديث عن أبيه. قلت: جاء ما يشهد لروايته فانظر كتاب الجهاد لابن أبي عاصم (٢٢٢/١ــ٢٢٣)، حديث رقم (٥٣ــ٥٤)، وكلام محققه عليه، فالحديث بها حسن لغيره، ولفظه في هذه الشواهد: "بأي حتف شاء الله".

(٢) حديث صحيح. جزء من حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، في يوم حنين.
أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، حديث رقم (١٧٧٥). وانظر جامع الأصول (٣٩٢/٨).

(٣) حديث حسن لغيره. مروي عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه.
أخرجه الترمذي في كتاب السير، باب في كراهية المقام بين أظهر المشركين، حديث رقم (١٦٠٤)، وأبوداود في كتاب الجهاد باب على ما يقاتل المشركون، حديث رقم (٢٦٤٥). وأخرجه عن قيس عن رسول الله مرسلا، دون ذكر جرير: النسائي في كتاب القسامة، باب القود بغير حديدة (٣٦/٨).
والحديث حسن لغيره في معنى مفارقة المشركين، وصححه الألباني، انظر ارواء الغليل (٣٠/٥)، حديث رقم (١٢٠٧).

(٤) قلت: لابن دريد كتاب وسمه بـ "المجتنى" قال في مقدمته: "هذا كتاب يشتمل على فنون شتى من الأخبار المونقة والألفاظ المسترشقة، والأشعار الرائقة، والمعاني الفخمة والحكم المتناهية، والأحاديث المنتخبة.. ثم قال: فأوّل ما نستفتح به ما جاءنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم من ألفاظه التي لا يشوبها كدر الغي، و لا يطمس رونقها التكلف و لا يمحو طلاوتها التفيهق.."
ثم عقد باباً ص ٢١ــ٣٥، ترجمه بـ"ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم و لم يسمع من غيره قبله"، أورد فيه جملة من الأحاديث التي بهذا المعنى، ومنها ما ذكره الخطابي رحمه الله تحت هذا الضرب.

(٥) انظر فيها كتاب: "الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن والسنة النبوية"، لمحمد بازمول، دار الهجرة، الدمام.

(وساق بسنده) عن فرات البهراني، عن أبي عامر: "إن رجلاً قال: يارسول الله مَنْ أهل النار؟ قال: كل قعبري! قال: يارسول الله وما "القعبري"؟ قال: الشديد على العشيرة، الشديد على الصاحب"(١).

(وساق بسنده) عن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا انبئكم بأهل النار؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: كل جظ جعظ! قلت: ما الجظ؟ قال: الضخم. قلت: ما الجعظ؟ قال: العظيم في نفسه"(٢).

ضرب آخر:

ومن حسن بيانه: ترتيب الكلام وتنزيله منازله.

(وساق بسنده) عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) إسناده ضعيف.
أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١٢٩/٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٧٧/٥)، وذكر محقق الاحاد: أن أبا نعيم أخرجه في معرفة الصحابة (٢٧٧/٢/ب). جميعهم من طريق: محمد بن الوليد الزبيدي عن سليم بن عامر، عن فرات البهراني، عن أبي عامر، به.
وفرات هو ابن ثعلبة البهراني، أورده البخاري في تاريخه الكبير، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات، فهو مجهول الحال، يقبل في المتابعات، ولا متابع له هنا.
ولفظ الحديث عند ابن أبي عاصم: "إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ أهل النار؟ فقال: سبحان الله! لقد سألت عن عظيم. كل قعبري. فقال: وما القعبري؟ قال: الشديد على العشيرة والشديد على الصاحب. فقال: ومَنْ أهل الجنة يا رسول الله؟ فقال: سبحان الله سألت عن عظيم، كل ضعيف مزهد"، وبنحوه لفظ البخاري في التاريخ الكبير.
قلت: ضعف هذا الحديث لا يقصر كلام الخطابي رحمه الله، فهناك أحاديث أخرى صحيحة تؤيد كلامه انظر تخريج الحديث التالي.

(٢) حديث منكر، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصحّ بنحوه عن حارثة بن وهب ﷺ.
في السند عند الخطابي أبويحي القتات لين الحديث. وساق الحديث الحافظ العقيلي في ترجمة أبي يحي هذا، من الضعفاء الكبير (٣٣٠/١)، وسمّاه عبدالرحمن بن دينار، ولفظ الحديث عند العقيلي: "كل جعظري جواظ". وساقه الذهبي في ترجمة أبي يحي هذا من الميزان (٥٨٦/٤)، ولفظه عنده: "كل جعظري جواص".
وأخرج البخاري في كتاب التفسير تفسير سورة النور باب قوله تعالى: {عتل بعد ذلك زنيم}، حديث رقم (٤٩١٨)، ومسلم في كتاب صفة الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم (٢٨٥٣)، من حديث حَارِثَة بْنَ وَهْبٍ الْخُزَاعِيَّ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ"
قلت: ومما يدخل في المعنى الذي ذكره الخطابي رحمه الله: من أنه صلى الله عليه وسلم يأتي في كلامه ما يعيا به قومه وأصحابه وهم العرب الصرحاء: ما جاء عن جابر بن عبدالله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الثعارير! قلنا: ما الثعارير؟ قال: الضغابيس"
وفي رواية: "إن الله يخرج ناساً من النار فيدخلهم الجنة".
وفي رواية: "إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة".
أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (١٩١). وانظر جامع الأصول (٥٤٧/١٠).

فقال: علمني عملاً يدخلني الجنة! فقال: اعتق النسمة وفك الرقبة. قال: أو ليسا واحداً؟ قال: لا؛ عتق النسمة أن تفرد بعتقها. وفك الرقبة أن تعين في ثمنها"[١] .

(وساق بسنده) عن عبدالله بن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدّاها ... الحديث[٢] .

فتأمّل كيف رتب الوعي على الحفظ، فاشترط عليه الحفظ أوّلا، وهو تلقف الفاظها، وجمعها في صدره، ثم أمره بالوعي وهو مراقبته إيّاها بالتذكر، وتخوّلها بالرعاية والاستصحاب لها إلى أن يؤديها فيخرج من العهدة فيها.

وهذا الباب يطول على من يريد أن يتقصاه، وإنما نريد الإذكار لا الإكثار"اهـ[٣] .

وقال القاضي عياض (ت٥٤٤هـ) رحمه الله: "وأمّا فصاحة اللسان وبلاغة القول؛ فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لايجهل: سلاسة طبع، وبراعة مترع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف. أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم السنة العرب؛ يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في مترع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله.

ومن تأمّل حديثه، وسيره؛ علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني، وطهفة النهدي، وقطن بن حارثة العليمي، والأشعث بن قيس، ووائل بن حُجر الكندي، وغيرهم من أقيال حضرموت، وملوك اليمن ...

وأمّا كلامه المعتاد، وفصاحته المعلومة، وجوامع حكمه المأثورة؛ فقد ألف الناس فيها الدواوين، وجمعت ألفاظها ومعانيها الكتب، وفيها ما لا يوازى فصاحة، ولا يبارى

---

(١) اسناده صحيح.
أخرجه أحمد في المسند (٤/٢٩٩).

(٢) حديث متواتر.
حكم بتواتره السيوطي في مفتاح الجنة ص٢١، بتحقيق بدر البدر، طبعة ١٤١٤هـ، والكتاني في نظم المتناثر ص٢٤ـ٢٥.

(٣) غريب الحديث للخطابي (١/٦٤ـ٦٨).

بلاغة"اهـ[١] .

ولرسول الله ﷺ البلاغة التي يُشهد لها ومن ذلك غير ما تقدّم:

ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "حُجِبَتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وَحُجِبَتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ"[٢].

قال الكرماني رحمه الله: "قالوا: هذا من جوامع الكلم ومعناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكرهات [نحو الاجتهاد في العبادات والصبر على مشاقها...] ولا يوصل إلى النار إلا بالشهوات، وهما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره وهتك حجاب النار بالمشتهيات"اهـ[٣].

وقال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) رحمه الله في شرحه لهذا الحديث : "هو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس، والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها"اهـ[٤].

وما جاء في حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، لّما ذكر قصة أبي سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ مع هِرَقْلَ، وفيه نص كِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا

---

(١) الشفا (١/٩٥ــ١٠٧).
وانظر حول فصاحته صلى الله عليه وسلم: البيان والتبيين (١٤/٢)، فتح الباري (٢٤٧/١٣)، تاريخ آداب العرب (٢٨١/٢ــ٢٨٧)، دراسة مطوّلة للشيخ محمد لطفي الصباغ، في كتابه: "الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه" ص٤٣ــ١١٣، من بلاغة الحديث الشريف للدكتور عبدالفتاح لا شين، طبع شركة مكتبات عكاظ، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، "الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية" للدكتور كمال عزالدين، دار اقرأ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ورسالة "السنة النبوية تعريفها وحجيتها وبلاغتها" للدكتور صالح بن أحمد رضا، والدكتور أحمد السيد الحسيسي/ دار الصحوة/ القاهرة/ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

(٢) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، حديث رقم (٦٤٨٧). وعن أنس ﷺ أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب، حديث رقم (٥٨٢٣).

(٣) شرح الكرماني على صحيح البخاري (١١/٢٣) بتصرف يسير.

(٤) فتح الباري (/).

أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"(١).

قال ابن حجر رحمه الله : "وقد اشتملت هذه الجمل القليلة التي تضمنها هذا الكتاب على:

ـــ الأمر بقوله: " أسلم".

ـــ والترغيب بقوله: "تسلم ويؤتك".

ـــ والزجر بقوله: "فإن توليت".

ـــ والترهيب بقوله: "فإن عليك".

ـــ والدلالة بقوله: "يا أهل الكتاب".

وفي ذلك من البلاغة ما لا يخفى وكيف لا وهو كلام من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم!"اهـــ(٢).

وما جاء عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا! قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ"(٣).

قال ابن حجر رحمه الله: "قال ابن بطال: "النصر عند العرب الإعانة ، وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يؤول إليه، وهو من وجيز البلاغة. قال البيهقي : معناه أن الظالم مظلوم في نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حسا ومعنى، فلو رأى إنسانا يريد أن يجب نفسه لظنه أن ذلك يزيل مفسدة طلبه الزنا مثلا منعه من ذلك وكان ذلك نصرا له ، واتحد في هذه الصورة الظالم والمظلوم"اهـــ(٤).

ومن ذلك ما جاء عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ

---

(١) حديث صحيح .
أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي حديث رقم (٧)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، حديث رقم (١٧٧٣).

(٢) فتح الباري (١/٣٩ـــ٤٠).

(٣) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب باب أعد أخاك ظالمً أو مظلوماً، حديث رقم (٢٤٤٤).

(٤) فتح الباري (٥/٩٨).

فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيُخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟!"(١).

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله : (فيجربها) في رواية مسلم "فيدخل فيها ويجربها " بضم أوله ، وهو بناء على ما كانوا يعتقدون من العدوى ، أي يكون سببا لوقوع الحرب بها ، وهذا من أوهام الجهال ، كانوا يعتقدون أن المريض إذا دخل في الأصحاء أمرضهم فنفى الشارع ذلك وأبطله ، فلما أورد الأعرابي الشبهة رد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " فمن أعدى الأول؟" وهو جواب في غاية البلاغة والرشاقة . وحاصله من أين الجرب للذي أعدى بزعمهم ؟ فإن أجيب من بعير آخر لزم التسلسل أو سبب آخر فليفصح به ، فإن أجيب بأن الذي فعله في الأول هو الذي فعله في الثاني ثبت المدعي، وهو أن الذي فعل بالجميع ذلك هو الخالق القادر على كل شيء وهو الله سبحانه وتعالى."اهـ(٢).

ومن بلاغته في التشبيه والكناية والمعاريض ما جاء عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ وَمَعَهُنَّ أُمُّ سُلَيْمٍ فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ"

قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: فَتَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَلِمَةٍ لَوْ تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُكُمْ لَعِبْتُمُوهَا عَلَيْهِ قَوْلُهُ: "سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ"(٣).

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله : "بالقوارير" في رواية هشام عن قتادة: "رويدك سوقك ولا تكسر القوارير" وزاد حماد في روايته عن أيوب قال أبو قلابة : يعني النساء ، ففي رواية همام عن قتادة "ولا تكسر القوارير" قال قتادة: يعني ضعفة النساء والقوارير جمع

---

(١) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب الطب باب "لاهامة"، حديث رقم (٥٧٧١)، ومسلم في كتاب السلام باب لا عدوى و لا طيرة ولا هامة...، حديث رقم (٢٢٢٠).
(٢) فتح الباري (١٠/٢٤١ـ٢٤٢).
(٣) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره فيه، حديث رقم (٦١٤٩)، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب رحمة النبي ﷺ بالنساء، وأمر السواق مطايهن بالرفق بهن، حديث رقم (٢٣٢٣).

قارورة وهي الزجاجة سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها.

وقال الرامهرمزي : كني عن النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة ، والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية. وقيل : المعنى سقهن كسوقك القوارير لو كانت محمولة على الإبل.

وقال غيره : شبههن بالقوارير لسرعة انقلابهن عن الرضا، وقلة دوامهن على الوفاء، كالقوارير يسرع إليها الكسر ولا تقبل الجبر ، وقد استعملت الشعراء ذلك،

قال بشار :

ارفق بعمرو إذا حركت نسبته فإنه عربي من قوارير

"قال أبو قلابة : فتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه : "سوقك بالقوارير" قال الداودي : هذا قاله أبو قلابة لأهل العراق لما كان عندهم من التكلف ومعارضة الحق بالباطل.

وقال الكرماني : لعله نظر إلى أن شرط الاستعارة أن يكون وجه الشبه جليا ، وليس بين القارورة والمرأة وجه للتشبيه من حيث ذاتهما ظاهر، لكن الحق أنه كلام في غاية الحسن والسلامة عن العيب؛ ولا يلزم في الاستعارة أن يكون جلاء وحه الشبه من حيث ذاتهما، بل يكفي الجلاء الحاصل من القرائن الحاصلة، وهو هنا كذلك. قال : ويحتمل أن يكون قصد أبي قلابة أن هذه الاستعارة تحسن من مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في البلاغة، ولو صدرت من غيره ممن لا بلاغة له لعبتموها. قال: وهذا هو اللائق بمنصب أبي قلابة[١].

قلت : وليس ما قاله الداودي بعيدا ولكن المراد من كان يتنطع في العبارة ويتجنب الألفاظ التي تشتمل على شيء من الهزل. وقريب من ذلك قول شداد بن أوس الصحابي لغلامه : "ائتنا بسفرة نعبث بها"، فأنكرت عليه ، أخرجه أحمد والطبراني[٢] .

---

(١) كلامه في شرحه على صحيح البخـــــاري (٢٢/٢٢ــ٢٣).

(٢) حديث حسن لغيره.

أخرجه أحمد في المسند (١٢٣/٤، ١٢٥)، والترمذي في كتاب الدعوات باب منه، حديث رقـــم (٣٤٠٧)، والنسائي في كتاب السهو باب نوع آخر من الدعاء، (٥٤/٣ حديث رقم ١٣٠٣)، وابن حبان (الإحـــسان =

قال الخطابي : كان أنجشة أسود وكان في سوقه عنف ، فأمره أن يرفق بالمطايا . وقيل : كان حسن الصوت بالحداء فكره أن تسمع النساء الحداء فإن حسن الصوت يحرك من النفوس ، فشبه ضعف عزائمهن وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في سرعة الكسر إليها .

وجزم ابن بطال بالأول فقال : القوارير كناية عن النساء اللاتي كن على الإبل التي تساق حينئذ، فأمر الحادي بالرفق في الحداء لأنه يحث الإبل حتى تسرع فإذا أسرعت لم يؤمن على النساء السقوط، وإذا مشت رويدا أمن على النساء السقوط، قال : وهذا من

=

٣١٠/٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٧٩،٢٨٧/٧، ٢٩٤)، تحت الأرقام التالية: (٧١٣٥،٧١٥٧، ٧١٧٨ــ٧١٨٠)، وفي كتاب الدعاء (١٠٨٠/٢ــ١٠٨٣)، تحت الأرقام التالية: (٦٢٦ــ٦٣٢)، وليس في سياق الحديث عنده في المعجم وفي الدعاء ذكر قصة السفرة، وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير باب الدعاء بعد أكل الطعام ولس الثوب، (١٨٦/٢ حديث رقم ١٩١٥)، و أبونعيم في الحلية (٢٦٥/١ــ٢٦٧) تقريب البغية (٤٠٢/٣ــ٤٠٥، تحت الأرقام ٤١٨٨ــ٤١٩٤) من طرق، أحدها عن الطبراني وليس فيه قصة السفرة. وسند احمد في الموضع الأول من طريق "حسان بن عطية عن شداد"، وهو منقطع حسان بن عطية لم يسمع من أحد من الصحابة كما يدل عليه تصرف ابن حبان إذ أدرجه في طبقة أتباع التابعين، وانظر تحفة التحصيل ص٦٦، وقد قال أبونعيم في الحلية (٢٦٦/١): "هكذا رواه عامة أصحاب الأوزاعي عنه مرسلاً، وجوّده عنه سويد بن عبدالعزيز"اهـ، وسويد ضعيف، فالسند ضعيف من هذا الطريق، والله اعلم. وسند الطريق الثاني من طريق أبي العلاء بن الشخير عن الحنظلي عن شداد، والحنظلي " وعند الترمذي (٣٤٠٧): "عَنْ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ الشِّخِّيرِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ قَالَ صَحِبْتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَفَرٍ فَقَالَ أَلَا أُعَلِّمُكَ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا ... قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَالْجُرَيْرِيُّ هُوَ سَعِيدُ بْنُ إِيَاسٍ أَبُو مَسْعُودٍ الْجُرَيْرِيُّ وَأَبُو الْعَلَاءِ اسْمُهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ"، فهذا الرجل الحنظلي مبهم، وإن كان الظاهر أنه في حيز القبول إذ صحبته لهذا الصحابي في السفر، وكونه معروفاً بهذه الصحبة مما يقوي حاله، والله اعلم، غير أنه يلاحظ أن السقط في السند الأول في موضع الإبهام في السند الثاني، لكن أحد الطرق التي أخرجها الطبراني من طريق: اسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرحبي عن أبي الأشعث الصنعاني عن شداد، قال محقق الإحسان: "هذا سند حسن رجاله ثقات غير محمد بن يزيد فقد أورده ابن أبي حاتم (١٢٧/٨)، و لم يذكر فيه جرحاً و لا تعديلاً، وروى عنه جمع، فمثله يكون حسن الحديث"اهـ و سند الحديث عند الحاكم، من طريق عمر اليمامي عن عكرمة بن عمار عن شداد، وصححه الحاكم على شرط مسلم، وحسن إسناد الحاكم محقق الإحسان، فالحديث بمجموع الطرق يترقى إلى درجة الصحيح لغيره، دون ذكر موضع الدعاء، و دون ذكر قصة السفرة، فإنها في مرتبة الحسن لغيره فقط، والله اعلم.

ولفظ الحديث عند أحمد في المسند (١٢٣/٤)، : "حَدَّثَنَا رَوْحٌ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: كَانَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ فِي سَفَرٍ فَنَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ لِغُلَامِهِ: ائْتِنَا بِالشَّفْرَةِ نَعْبَثْ بِهَا فَأَنْكَرَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا وَأَنَا أَحْطِمُهَا وَأَزُمُّهَا إِلَّا كَلِمَتِي هَذِهِ فَلَا تَحْفَظُوهَا عَلَيَّ وَاحْفَظُوا مِنِّي مَا أَقُولُ لَكُمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ"

الاستعارة البديعة، لأن القوارير أسرع شيء تكسيرا، فأفادت الكناية من الحض على الرفق بالنساء في السير ما لم تفده الحقيقة لو قال أرفق بالنساء.

وقال الطيبي : هي استعارة لأن المشبه به غير مذكور ، والقرينة حالية لا مقالية ، ولفظ الكسر ترشيح لها.

وجزم أبو عبيد الهروي بالثاني وقال : شبه النساء بالقوارير لضعف عزائمهن، والقوارير يسرع إليها الكسر، فخشي من سماعهن النشيد الذي يحدو به أن يقع بقلوبهن منه، فأمره بالكف ، فشبه عزائمهن بسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في إسراع الكسر إليها.

ورجح عياض هذا الثاني فقال هذا أشبه بمساق الكلام، وهو الذي يدل عليه كلام أبي قلابة ، وإلا فلو عبر عن السقوط بالكسر لم يعبه أحد .

وجوز القرطبي في " المفهم " الأمرين فقال : شبههن بالقوارير لسرعة تأثرهن وعدم تجلدهن، فخاف عليهن من حث السير بسرعة السقوط أو التألم من كثرة الحركة والاضطراب الناشئ عن السرعة، أو خاف عليهن الفتنة من سماع النشيد.

قلت : والراجح عند البخاري الثاني، ولذلك أدخل هذا الحديث في "باب المعاريض" ، ولو أريد المعنى الأول لم يكن في القوارير تعريض"اهـ[1].

ومن بلاغة التشبيه ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ : "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ يَنْطُفُ أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً قُلْتُ: مَنْ هَذَا قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ. ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ جَسِيمٌ أَحْمَرُ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ"[2].

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله: "كأن عينه عنبة طافية" بياء غير مهموزة أي بارزة ، ولبعضهم بالهمز أي ذهب ضوؤها، ... وقع في حديث أبي سعيد عند أحمد: "وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة في حائط مجصص ، وعينه اليسرى كأنها

---

(١) فتح الباري (١٠/٥٤٥ــ٥٤٦).

(٢) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب ذكر الدجال، حديث رقم (٧١٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان بـــاب ذكر المسيح ابن مريم، حديث رقم (١٦٩).

كوكب دري" فوصف عينيه معا"[١] وتشبيهها بالنخاعة في الحائط المجصص في غاية البلاغة ، وأما تشبيهها بالزجاجة الخضراء وبالكوكب الدري فلا ينافي ذلك فإن كثيرا ممن يحدث له في عينه النتوء يبقى معه الإدراك فيكون الدجال من هذا القبيل والله أعلم"اهـ[٢].

ومن بلاغته صلى الله عليه وسلم في المقابلة، ما جاء عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا"[٣].

قال الكرماني رحمه الله: "فيه نوعان من [صناعة] البديع : مقابلة الضحك بالبكاء والقلة بالكثرة ومطابقة كل منهما بالآخر"اهـ[٤].

من كلام الأئمة في الإشارة إلى بعض الأحاديث الجوامع ما يلي:

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: "أصول الإسلام تدور على ثلاثة أحاديث:

قوله: "الحلال بيِّن والحرام بيِّن"[٥].

---

(١) حديث حسن لغيره .
أخرجه أحمد في المسند (٧٩/٣) (الرسالة ٢٧٥/١٨، حديث رقم ١١٧٥٢)، والحاكم في المستدرك (٤٩٣/٤، تحت رقم ٤٢٢٤) مختصراً لم يذكر فيه محل الشاهد، وقال الذهبي في مختصر المستدرك: "مجالد ضعيف"اهـ، وضعفه محققو مسند أحمد (الرسالة). قلت: لكن محل الشاهد له شواهد كثيرة ترقيه إلى مرتبة الحسن لغيره إن شاء الله تعالى. ولفظه عند أحمد: "حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمُتَعَالِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ حَدَّثَنَا مُجَالِدٌ عَنْ أَبِي الْوَدَّاكِ قَالَ قَالَ لِي أَبُو سَعِيدٍ هَلْ يُقِرُّ الْخَوَارِجُ بِالدَّجَّالِ فَقُلْتُ لَا فَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي خَاتَمُ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَكْثَرُ مَا بُعِثَ نَبِيٌّ يُتَّبَعُ إِلَّا قَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ وَإِنِّي قَدْ بُيِّنَ لِي مِنْ أَمْرِهِ مَا لَمْ يُبَيَّنْ لِأَحَدٍ وَإِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَعَيْنُهُ الْيُمْنَى عَوْرَاءُ جَاحِظَةٌ وَلَا تَخْفَى كَأَنَّهَا النُّخَامَةُ فِي حَائِطٍ مُجَصَّصٍ وَعَيْنُهُ الْيُسْرَى كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ مَعَهُ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ وَمَعَهُ صُورَةُ الْجَنَّةِ خَضْرَاءُ يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ وَصُورَةُ النَّارِ سَوْدَاءُ تَدَّاخَنُ".
(٢) فتح الباري (٩٧/١٣ـ٩٨) باختصار.
(٣) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي: لوتعلمون ما أعلم لضحكتم حديث رقم (٦٤٨٥)، ومسلم في كتاب الفضائل باب توقيره وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، حديث رقم (٢٣٥٩).
(٤) شرح الكرماني على صحيح البخاري (١٠/٢٣).
(٥) حديث صحيح، عن النعمان بن بشير ﷺ.
أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال، وترك الشبهات، حديث رقم (١٥٩٩)، ولفظ الحديث عند البخاري: "عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".

وقوله: "إنما الأعمال بالنيات"[١].

وقوله: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"[٢].".

قال ابن تيمية رحمه الله، مبيناً ذلك: "فإن الأعمال إمّا مأمورات وإمّا محظورات. والأوّل فيه ذكر المحظور. والمأمورات إما قصد القلب والنية، وإمّا العمل الظاهر، وهو المشروع الموافق للسنة"اهـ[٣].

[عن إسحاق بن راهوية قال: أربعة أحاديث هي من أصول الدين :

حديث عمر: "إنما الأعمال بالنيات". وحديث: "الحلال بيِّن والحرام بيِّن". وحديث: "إن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمِّه"[٤]. وحديث: "من صنع في أمرنا شيئاً ليس منه فهو رد".

وروى عثمان بن سعيد عن أبي عبيد قال: جمع النبي ﷺ جميع أمر الآخرة في كلمة: "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد". وجمع أمر الدنيا كله في كلمة: "إنما الأعمال بالنيات" يدخلان في كل باب.

وعن أبي داود، قال: نظرت في الحديث المسند، فإذا هو أربعة آلاف حديث، ثم

---

(١) حديث صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
أخرجه البخاري في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي عليه صلى الله عليه وسلم، وهو أول حديث فيه، وفي مواضع أخرى، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات"، حديث رقم (٢٢٠١). انظر جامع الأصول (٥٥٥/١١).

(٢) حديث صحيح. عن عائشة رضي الله عنها.
أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، حديث رقم (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، حديث رقم (١٧١٨). ولفظ البخاري: "عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ".

(٣) طريق الوصول إلى العلم المأمول لابن سعدي نقلاً عن ابن تيمية ص١٩٩-٢٠٠، تحت أصول منقوله من كتب ابن تيمية وفتاويه رقم (٦٤٠) .

(٤) حديث صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه.
أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله، حديث رقم (٢٦٤٣). ولفظ البخاري : "عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ".

نظرت، فإذا مدار الأربعة الآف حديث على أربعة أحاديث: حديث النعمان بن بشير: "الحلال بين والحرام بين". وحديث عمر: "إنما الأعمال بالنيات". وحديث أبي هريرة: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين"[(١)] الحديث. وحديث: "من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه"[(٢)]. قال: فكل حديث من هذه ربع العلم.

وعن أبي داود أيضاً، قال: "كتبت عن رسول الله ﷺ خمس مئة ألف حديث، انتخبت

---

(١) حديث صحيح، عن أبي هريرة ﷺ.
أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، وتربيتها، حديث رقم (١٠١٥).
ولفظ الحديث : "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ".

(٢) حديث حسن لغيره.
أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجامع باب ما جاء في حسن الخلق، تحت رقم (١٦٧١)، ومن طريقه الترمذي في كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، حديث رقم (٢٣١٧)، الترمذي في كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، حديث رقم (٢٣١٧)، من طريق الزُّهْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ"
و قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي: "وَهَكَذَا رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ الزُّهْرِيِّ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ مُرْسَلًا وَهَذَا عِنْدَنَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ لَمْ يُدْرِكْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ"اهـ
وأخرجه أحمد في المسند (٢٠١/١)، من طَريق شعيب بن خالد عن حسين بن علي قال قال رسول الله ﷺ : "من حسن إسلام المرء تركه الكلام فيما لا يعنيه".
وأخرجه أحمد أيضاً (٢٠١/١)، والطبراني في الصغير (الروض الداني ٢٣١/٢ تحت رقم ١٠٨١)، وفي الكبير (٢٨٨٦)، وتمام في فوائده (البدر التمام ٣٢٨/٣ تحت رقم ١٠٩٨)، من طريق ابن شهاب عن علي بن حسين عن أبيه قال رسول الله ﷺ: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"
وأخرجه عن أبي هريرة ﷺ الترمذي في كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، حديث رقم (٢٣١٧)، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٩٧٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان ٤٦٦/١ حديث رقم ٢٢٩)، وأبو الشيخ في كتاب الأمثال ص٥٤-٥٥ تحت رقم (٥٣-٥٤)، وتمام الرازي في فوائده (البدر التمام ٣٢٩/٣-٣٢٢، تحت رقم ١٠٩٩-١١٠١)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٤٤/١ تحت رقم ١٩٢). ولفظ الترمذي : "عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ"
قَالَ الترمذي: "قَالَ هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ".
ومن حديث زيد بن ثابت عند الطبراني في الصغير (الروض الداني ١١٨/٢ تحت رقم ٨٨٤)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٤٣/١ تحت رقم ١٩١)،
والحديث حسنه النووي في الأربعين، و قال صاحب فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب (١٧٣/١): "وصححه جماعة منهم ابن عبدالبر والحافظ لهيثمي ... وأخطأ من ضعفه"اهـ، وصححه لغيره الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨/٢-٢٦٩)، وحسنه لغيره محقق الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤٦٧/١)، وصاحب البدر التمام (٣٣١/٣).

منها ما ضمّنته هذا الكتاب – يعني كتاب "السنن" – جمعت فيه أربعة آلاف وثمان مئة حديث، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث:

أحدها: قوله ﷺ: "الأعمال بالنيات".

والثاني: "قوله ﷺ: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

والثالث: قوله ﷺ: "لا يكون المرء مؤمناً حتى يدع ما لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه".

والرابع : قوله ﷺ: "الحلال بيِّن والحرام بيِّن".

وفي رواية أخرى عنه، أنه قال: الفقه يدور على خمسة أحاديث: "الحلال بيِّن والحرام بيِّن"، وقوله: "لا ضرر و لا ضرار"، وقوله ﷺ: "الأعمال بالنيات"، وقوله: "الدين النصيحة"، وقوله: "وما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم".

وفي رواية عنه، قال: أصول السنن في كل فن: أربعة أحاديث: حديث عمر: "الأعمال بالنيات". وحديث الحلال بيِّن والحرام بيِّن". وحديث: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". وحديث: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس"][(١)].

قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله: "قوله ﷺ: "مطل الغني ظلم، وإذا اتبع أحدكم على مليء فليتبع" من جوامع الكلم؛ جمع فيه بين حسن الوفاء وحسن الاستيفاء. ونهى عما يضاد ذلك. فأمر المدين بالوفاء، ونهاه عن المطل، وبين أنه ظالم إذا مطل وأمر الغريم بقبول الوفاء إذا أحيل على مليء، وهذا كقوله: ﴿**فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**﴾ [البقرة:١٧٩]. أمر المستحق أن يطالب بالمعروف وأمر المدين أن يؤدي بإحسان"اهـ[(٢)].

قال ابن رجب (ت٧٩٥هـ) رحمه الله: "وقد جمع العلماء جموعاً من كلماته ﷺ الجامعة، فصنف الحافظ أبوبكر ابن السني كتاباً سمّاه: "الإيجاز وجوامع الكلم من السنن المأثورة" وجمع القاضي أبوعبدالله القضاعي من جوامع الكلم الوجيزة كتاباً سمّاه :

---

(١) ما بين معقوفتين نقلته من جامع العلوم والحكم (١/٦٢-٦٣).

(٢) طريق الوصول إلى العلم المأمول، لابن سعدي نقلا عن ابن تيمية ص٥٣، تحت أصول منقوله من كتب ابن تيمية وفتاويه رقم ١٢٧.

"الشهاب في الحكم والآداب"[١] وصنف على منواله آخرون، فزادوا على ما ذكره زيادة كثيرة. وأشار الخطابي في أوّل كتابه "غريب الحديث" إلى يسير من الأحاديث الجامعة[٢].

وأملى الإمام الحافظ أبوعمرو بن الصلاح مجلساً سمّاه "الأحاديث الكلية"، جمع فيه الأحاديث الجوامع التي يقال: إن مدار الدين عليها، وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة، فاشتمل مجلسه هذا على ستة وعشرين حديثاً.

ثم إن الفقيه الإمام الزاهد القدوة أبا زكريا يحي النووي رحمة الله عليه أخذ هذه الأحاديث التي أملاها ابن الصلاح، وزاد عليها تمام اثنين وأربعين حديثاً، وسمى كتابه بالأربعين[٣]، واشتهرت هذه الأربعون التي جمعها، وكثر حفظها، ونفع الله بها ببركة نية جامعها وحسن قصده رحمه الله"اهـ[٤].

تم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

---

(١) وهو كتاب محذوف الأسانيد، ثم أسند ما فيه من الأحاديث وسمّاه "مسند الشهاب" وقد طبع مسند الشهاب، بتحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي/ مؤسسة الرسالة/الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
قال القاضي القضاعي رحمه الله في مقدمة الشهاب: "أمّا بعد فإن في الألفاظ النبوية والآداب الشرعية: جلاء لقلوب العارفين، وشِفاء لأدواء الخائفين؛ لصدورها عن المؤيد بالعصمة، والمخصوص بالبيان والحكمة، الذي يدعو إلى الهدى، ويبصر من العمى، و لا ينطق عن الهوى ﷺ، افضل ما صلى على أحد من عباده الذين اصطفى. وقد جمعت في كتابي هذا مما سمعته من حديث رسول الله ﷺ ألف كلمة من الحكمة في الوصايا والآداب، والمواعظ والأمثال، قد سلمت من التكلف مبانيها، وبعدت عن التعسف معانيها، وبانت بالتأييد عن فصاحة الفصحاء، وتميّزت بهدي النبوة عن بلاغة البلغاء، وجعلتها مسرودة يتلو بعضها بعضاً، محذوفة الأسانيد، مبوبة أبواباً على حسب تقارب الألفاظ ..." نقلها حمدي السلفي في مقدمة تحقيقه لمسند الشهاب (١/١٢).
وجاء في مقدمة مسند الشهاب للقضاعي: "هذا كتاب جمعت فيه أسانيد ما تضمنه كتاب الشهاب من الأمثال والمواعظ والآداب، فمن أراد المتون مسرودة نظرها هناك، ومن أراد مطالعة اسانيدها نظرها في هذا الكتاب"اهـ.

(٢) وقد نقلت كلامه رحمه الله فيما سبق.

(٣) وهي المعروفة بـ "الأربعين النووية".

(٤) جامع العلوم والحكم (١/٥٦-٥٧)، باختصار وتصرف يسير.